الشاعر القروي من خلال شعره

بقلم وديع فلسطين

الى احضان الشام عاد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري بعد هجرة امتدت اكثر من اربعين عاما قضى اغلبها في البرازيل ، فالتقى ابر الابناء بأكرم الاوطان ، وتحقق له الحلم الذي طالما مر بخياله في اليقظة وفي المنام ، وكان حنينه الى الوطن قد شمل كل حياته ووجدانه وعاطفته وآماله ، فقضى ايام شبابه وسني كهولته يبكي الغربة ويتحرق الى « بربارته » الراقدة في حضن الجبل الاشم شوقا ، ويذوب تحنانا الى اهله وعشيرته . فلما طالعه ساحل بلاده لاول مرة بعد هذا البين ، انهمر الدمع في مآقيه وعيناه تصافحان أديم موطنه ومرابع طفولته ، وأنشد قائلا :

بنت العروبة هيئي كفني انا عائد لاموت في وطني
من جاد من خلف البحار له بالروح ، كيف يضن بالبدن ؟

وكان الى جواره صديق يعرف عن القروي زهادته وفناءه في حب عروبته وبلاده ، فعاتبه قائلا : افلا كان الاحجى ان تقول :

بنت العروبة هيئي سكني انا عائد لاعيش في وطني ؟

نعم ، عاد القروي كما يعود الرسول الى متكئه بعد أداء رسالته بما يرضي ضميره ويطيب وجدانه . عاد لا يحمل من بدر المال يزهو به على انداده ، ولا برفد من ثراء المادة يهيىء له حياة الترف ، بل عاد وفي يمناه كتاب جليل باذخ قلبا وقالبا ، هو ديوان شعره الموسوم « ديوان الشاعر القروي » الذي يقع في اكثر من الف صفحة والذي يجيش بعاطفة الشاعر القومية والانسانية ويعمر بآماله وآلامه واحلامه ورؤاه في مدى نصف قرن .

قال عنه الامير مصطفى الشهابي (١) انه من الشعراء الذين كانوا يسمعون صوتهم في المواقف الوطنية سواء في الدفاع عن الحرية المسلوبة في عهد الدستور او في الدفاع عن حقوق العرب . وقال كذلك ان روائع الشاعر القروي في مختلف الاحداث القومية مشهورة لانه لا يحتاج الى من يذكي فيه نار الحنين الى الوطن الاصلي ولا الى من يعلمه واجب الدفاع عن ابناء قومه . وقال ان للشاعر القروي قصائد ونفثات مشجية في فجائع الثورة السورية وغيرها .

وقال عنه الدكتور احمد زكي ابو شادي : « علم قد شرف العربية في القرن العشرين باكثر مما شرفها انداد نابهون من الشعراء الفطاحل في معظم العصور » (٢)

ووصفه المجاهد اكرم زعيتر بقوله : « لو جاز ان يكون للوطنية قديسون لكان الشاعر القروي احدهم » (٣) .

وقال فيه زميله الشاعر المهجري جورج صيدح : « لم تعرف العروبة مثله شاعراً أمينا على عزتها وكرامتها ، ثابتا على مبادئها ، زاهدا في مالها وحطامها ... عرفت القروي وكأني عرفت روح غاندي في جسم غير جسمه وزي غير زيه » (٤) .

وشهد له محمد عبد الغني حسن بأنه « شاعر يمثل فحولة الشعر العربي في المهجر » (٥)

وقال فيه صديقه وصفيه ورصيفه نظير زيتون : « ولد مع الاعاصير في الغابات ، ومع الزلازل في الجبال ، ومع الصواعق في البحار . ولد مع الندى في الفجر ، ومع الازاهير في الربيع ، ومع البلابل في الجنان ، ومع الجمال في نشوة نيسان . ولد مع الاسطورة في عبقر ، ومع الانبياء في الوادي المقدس ، ومع الرؤى في ومضة الروح ، ومع السحر في أهداب العذارى . ولد مع الدمع الاخرس اللاهب في غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب ، وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم . ولد الشاعر القروي مع أمته في شروقها وغروبها ، ومدها وجزرها ، وخمرها وخلها » (٦)

ونعته زميله الشاعر الصحفي المهجري عبد اللطيف الخشن بانه « ثالث العمرين بعد عمر الخيام وعمر بن الفارض ، فذلك في حكمته وهذا بزهده وصوفيته » (٧)

فقد عاش القروي أمينا على رسالته ، يشيد بكل نبيل من الاهداف والغايات ، وينطق بلسان عربي فصيح رصين لا برطانة أعجمية ولا بلسان عليه مسحة العجمة . تغنى أكثر ما تغنى بوطنه الصغير ووطنه العربي الكبير ، وهام بأمته هياما نابعا من فطرة سليمة ووفاء كريم ، وردد انغام الحرية في كل صقع ، وكان دائما الناصح الناضج الرشيد الذي يمحض قومه الرأي القويم ويستنفر همتهم الى

---

(١) القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها ـ للامير مصطفى الشهابي ـ ص ١٠٢ و ١٠٤ و ١٥٢

(٢) شعراء العرب المعاصرون ـ لاحمد زكي ابي شادي ـ تقديم ومراجعة رضوان ابراهيم ـ ص ٣٠٠

(٣) مهمة في قارة ـ لاكرم زعيتر ـ ص ٢٠

(٤) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ـ لجورج صيدح ـ ط ٢ ـ ص ٣٢٨

(٥) الشعر العربي في المهجر ـ لمحمد عبد الغني حسن ـ ط ٢ ص ٢٤٧

(٦) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ـ ط ٢ ـ ص ٣٢٤

(٧) شعراء العرب المعاصرون ـ ص ٣٠٢

ايتاء الخير واتيان الكرامة ، وعاش بشعره في حلبة النضال يحارب كل ذميم من الاراء ، ويبطش بكل دعوة هدامة ، ويصارح قومه بغضبته على استكانتهم ، ويبوق لهم بالنفير كلما آنس منهم دعة او رأى الخطر جاثما عند الباب .

عيروه بضعة شأنه ، فاختار لنفسه لقب « القروي » امعانا منه في الزهو بوداعته . وكان اذا تحدث عن نفسه ازهد الناس وأتاهم عن اعراض الدنيا . اما اذا تحدث عن شاعريته او عن قومه ، فهو اكثر الناس غرورا وثقة بالنفس ، ولكنه غرور الكبرياء لا مجون التكبر .

فهذا شاعر طاعن في عربيته ، عريق في شاعريته ، مجدد في آفاق الشعر وآماده ودناه ، لا يعرف شطحات الخيال ولا يعيش في اوهام الاحلام . واذا قال قائل ان الشعراء انواع : فهناك الشاعر الرمزي والشاعر الخيالي والشاعر الفيلسوف والشاعر الوجداني والشاعر المعلم والشاعر الحماسي والشاعر الماجن ، وهلم جرا ، فان الشاعر القروي ينتسب الى غير فئة واحدة من تلك الفئات، لانه منطلق في حماسته مبرز في تعليمه ونصحه ، محلق في فلسفته وحسن تعليله ، متيقظ الوجدان ، متسامي الروح .

ولو سألنا القروي ان يتحدث عن نفسه وعن شعره لقال :

انا السيف المجرد من قرابي ... أتهملني اذا بلي القراب ؟ (٨)

ولقال كذلك :

انا ذلك الاعصار نساف الذرى ... وانا النسيم مداعب الافنان
أطوي سماوات الخيال وانثني ... عطر الجنان يفوح من ارداني
ادنى الانام الى الرضى وأبرهم ... عهدا وابعدهم عن الكفران
فلئن فقدت فما فقدت مروءتي ... عند الجدال ولا جهلت مكاني
ادب يروعك راضيا او ساخطا ... ولفى الهزار جميعهن اغاني
اذ عابك الشيطان انك خاطىء ... واذاع زير القوم انك زان
لم يعن هذا الشعب اني شاعر ... حر بحب بلاده متفان (٩)

ولقال لنا :

ليت فيهم منصفا يخبرهم ... انني شاعرهم رغم الجحود
قبل ان اجتاز عقدا ثانيا ... زنت جيد الدهر بالعقد الفريد
اي فن من فنون الشعر لم ... أقرع الافذاذ منه بشرود
انا للحب وللحرب معا ... وقوافي لمن شاء شهودي
لست بالمزهو لكن ادبي ... صنته عن كل مهذار بليد
لم اقل وحدي ، فمن انبأهم ... ان شعري وحده بيت القصيد (١٠)

لقال لنا مفاخرا مباهيا :

يا منكرا أدبي هديت ألا ... انا من صميم عشيرة الادب
من دولة الفن التي عصمت ... وتنزهت عن مدع وغبي
من اسرة النور التي تركت ... ليل الغرور ممزق الحجب
الفجر اختي والصباح اخي ... والشمس امي والنهار أبي (١١)

ولقال لنا مفاخرا مباهيا :

لاملأ سمع الارض في كل ليلة ... باعذب من عزف الرباب واطربا
وأنشد ما لم تنشد الطير مثله ... عدا «الطائر المحكي» شرقا ومغربا

(٨) ديوان الشاعر القروي ـ ص ٣٧٠.
(٩) الديوان ـ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١
(١٠) الديوان ـ ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩
(١١) الديوان ـ ص ٤٢٨

أليس عظيما انني بعد شيبتي ... آلاقي من الاحباب نكرا مشيبا
واني في الستين ما زلت مكرها ... لاجل كفافي ان أكد وأتعبا
ولكنني بلغت قومي رسالة ... سيودعها التاريخ سفرا مذهبا (١٢)

فالقروي شاعر يخلص في اداء الرسالة مرضاة لضميره وخدمة لقومه ، لانه وادع حيي يعاف الشهرة فتأتيه عفوا ، ولانه فقير مجاهد صان وجهه وبرأ قلمه وسخر من متاع الدنيا وازور عن المغانم والمكاسب . ومع هذا فلم يسلم القروي من كيد الحاقدين والحاسدين ، فخاطبهم باللغة التي يحسنونها قائلا في رد كيدهم :

لو كان يدري حسودي ما أكابده ... في الحق ما أكلته جمرة الحسد
اني صعدت الى مجدي على جبل ... مما تهدم من روحي ومن جسدي (١٣)

طريق مفروش بأشلاء الجسد والروح ، يعنّي فيه المرء طريق مفروش بأشلاء الجسد والروح ، يعني فيه المرء نفسه ليبلغ نهايته ، ويجالد فيه المجاهد حتى يظفر آخر الامر بالنجح والفوز . ومتى جاءه اكليل التقدير ، كانت القدمان داميتين وكانت الروح مثخنة بالجروح .

ولو سألنا القروي عن الصفات الحسنى في البشر لقال :

انا من يعشق المهذب والشاعر ... والحر والفتى الاريحيا
ولو ان الاخلاق يعصمن من كيد ... الاعادي عصمن قلبي نبيا (١٤)

فان قيل له : من أنت وما شأنك ؟ لاجاب في ازدهاء وعجب :

لي كالضياء صحائف منشورة ... بيضاء يشهد لي بها الملوان
الزهر تعرفني واعرفها فما ... همي اذا جهل الضفادع شاني
الحق سلطاني ولست بحاذر ... في الحق سلطانا سوى سلطاني
هل ينقمون علي الا انني ... لبيت صوت الحق حين دعاني (١٥)

واذا كان الاخفاق في الحياة عند البعض سبيلا الى الهزيمة والقاء السيف ، فانه عند القروي حافز على متابعة الجهاد ومضاعفة الجهود . فلا ضيعة الشاعر بين قومه والاجنبيين عنه ، ولا تعييره بأنه « تركي وضيع » مهما أقبلت عليه الدنيا ، ولا اكتسابه السحت بالهوان ... لا شيء من هذا كله يثني القروي عن طلب العلى لقومه ولادبه ولعروبته . وفي هذا قال :

انت والله شاعر عربي ... ضائع بين قومه والاجانب
حامل فوق همه هم شعب ... ساورته الخطوب من كل جانب
أنت «توركو» ولو وطئت الثريا ... وأقمت السهى ببابك حاجب
مستضام مهما اعتززت ، فقير ... ولئن شدت ناطحات السحائب
تكسب السحت بالهوان وبالافك وبالشح ، بئس ما انت كاسب (١٦)

والشاعر القروي لا يفضل نفسه عن قومه ولا عن مأته . وهو لا يرى في الحياة غاية مشتهاة ما لم تكن تلك الغاية مطلبا قوميا شاملا . وهو في حياته المنظومة يرجع صدى الاحداث التي تلم بقومه ، لانه شاعر يعرف ان عزته من عزة قومه وذله من ذلهم وسعادته من سعادتهم . وفي هذا قال :

كنت اعطي أفلاذ قلبي لما ... كان غيري يعنى بجمع الفلز

(١٢) الديوان ـ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦
(١٣) الديوان ـ ص ٤٨٢
(١٤) الديوان ـ ص ٦٠٥
(١٥) الديوان ـ ص ٤١٨ ـ ٤١٩
(١٦) الديوان ـ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩

لا ابالي شبعت ام جعت والفن شرابي وعزة النفس خبـــزي
ذل قومي ذلي وان كنت اغنـــى الناس طرا وعز قومـــي عزي
قد نبذت العيش الرخي ورائي لاهيا عنه بالاعـــز الامـــز
والذي صيده لفراغم لا يعجزه ان يكـــوون قناص عنـــز (١٧)

ولصراحة الشاعر القروي وقع القارعة على بني قومه اذا رأى منهم تنـــازعا او استكانة . ومن يقرأ شعره ير الشاعر خطيبا ملؤه الحماسة ، يزأر زأرة الاسد في الغاب اذ يرى نذير سوء في الافق . وهو اذ يثور ، يطعن يمينـا وشمالا مستنهضا همة العروبة نابذا دعـوى المســالمة والمهادنة . وعندئذ يتدفق الشعر من صميم ذاته ووجدانه صارخا مستصرخا مستنفرا كأنه شلال يهدر فيحطـم الصخر . فها هو يخاطب بني جلدته قائلا :

فموتا ، ألا موتوا ، فما الموت سبة وان الردى في العار لا العار في الردى (١٨)

ويقول كذلك :

سلام على كفر يـــوحد بيننا واهلا وسهلا بعـده بجهنـــم (١٩)

ويرى الراية منشورة فيخاطبها قائلا :

ان كنت للحق فلتخضع لك الامم او كنت للظلم لا حييت يا علم
آياتنا ورق ، راياتنـــا خرق ان لم تعززهما الاخلاق والهمم (٢٠)

ويرى اقوامه تحني الرأس على سوء تقدير منهـــا فيخاطبها بقوله :

انا ما رأيت فضيلة مكروهـة كتاضع الاعراب للاعجـام
ان الاســـود اذا تولى امرها راع ، فقـد حشرت مع الاغنام (٢١)

ويقول ايضا :

اذا بني النظام على فســـاد ففي خرق النظام لنـا نظـام (٢٢)

والشعراء جميعا يتغنون بالحرية ، ولكن الشاعـــر القروي يعليها على كل فضيلة في الحياة ، ويراها خير جزاء للمرء بعد طول المعاناة . وفي هذا يقول ويردد :

وخير لهـذا الكون من الف امة أرقاء حر يملأ الكون مفـــردا (٢٣)

ويقول كذلك :

من لم يكن حرا فليس بشـــاعر ولو ان ما نظم الارق الانفس (٢٤)

ويقول اذ يرى البقر ناعمة بالحرية في مرعاها :

طوباك سارحة في القفر طوبـاك ان كنت احسد مخلوقا فايـاك
تالله كم يتمنى عيشك البشر ماذا تخافين في البيداء يا بقـر
طوباك في مربع الحرية الخصب بين الازاهر والامواه والعشب
ما كنت تخشين من سكين سفاك طوباك فالموت غير الذل طوباك (٢٥)

ويقول في الاحرار :

انت حر فاستوطن البلد الحـر وصاحب من اهله اخـــوانا (٢٦)

ويقول ايضا :

لو كان أجر الحر قدر جهاده كان الخلود اقل شيء تؤجـر (٢٧)

ويقول :

وكافىء بالاستقلال حسن جهادهم فان جزاء الحر موطنه الحر (٢٨)

ولا يفتأ يقول :

اذا التعليم لم يجعلك حـــرا فاعمل في حدائقـه الفـؤوسا (٢٩)

واذا كان الشعر والشعور ابني عمومة ، فان شعـــر القروي حافل بالمشاعر الانسانية النبيلة جمعاء . فهـــو يحض على الخير ، ويخص المكارم بكل اطراء سخي . ولا عجب ، فالشعر صورة مصغرة لحياة الشاعر ، وهو مرآة

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

(١٩) الديوان ـ ص ٣١٦
(٢٠) الديوان ـ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢
(٢١) الديوان ـ ص ٣٧٤
(٢٢) لديون ـ ص ٣٧٦
(٢٣) لديون ـ ص ـ ٣٤٧
(٢٤) لديوان ـ ص ٣٠١
(٢٥) الديوان ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤
(٢٦) الديوان ـ ص ٨١٤
(٢٧) الديوان ـ ص ٦٥٧
(٢٨) الديوان ـ ص ٥٢٠

دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر
في بيروت
تقدّم

تقدم الى قراء العربية بالاضافة الى سلاسل كتبهـــا المدرسية اطرف المؤلفات واغناها بالفكر وارقاها فـــي مستوى البيان ، واحفلها بالعمق في عرض مشاكل العصر وطرق حلولها .

الابحاث الاسلامية

* ثورة الاسلام تأليف الدكتور احمد زكي ابي شادي
* الاسلام نظام انساني تأليف الدكتور مصطفى الرافعي
* الاسلام انطلاق لا جمود » » « «
* الامام الصادق (علم وعقيدة) تأليف ـ رمضان لاوند
* الاتجاهات الحديثة في الاسلام » الدكتور حبيب

المجموعة الفكرية

* رينه ديكارت (ابو الفلسفة الحديثة) تأليف الدكتور كمال الحاج
* هنري برغسون جزء اول « « « «
* « « جزء ثاني « « « «
* الوجـودية مـــذهب انساني (مترجم) تأليف جان بول سارتر
* الذباب (مسرحية نثرية مترجمة) تأليف جـان بول سارتر
* الانسان فرد لا جمـــاعة (بحث فلسفي) تأليف يوسف حوراني
* الاشتراكية بين العلم والخيال ـ تأليف فريدريك انجـــلز
* وجودية ووجوديون ـ تأليف رمضان لاوند
* علم النفس في حياتنا الحديثة ـ تأليف ارنست هيفمن ـ ترجمة جميل سعيد
* المؤسسات الاقتصادية وعلاقتها بالرفاه الانساني تأليف كلارك ـ ترجمة برهان دجاني
* دراسات في الادب العربي (الدكاترة كمال اليازجي، احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، انيس فريحه)
* الدنيا تتحدث عن نفسها، تأليف عبداللطيف شرارة.

دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ شارع سوريا ، ص.ب ١٣٩٠

الشاعر القروي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

نفسه وجلوة لما يعتمل في صدره من الاحاسيس والرغائب. والشاعر ينظر الى الحياة جميعا من زاويتها الانسانية المجردة ، لا تهمه زخارف المادة ، ولا يخدعه بريق النضار ، وذلك لا عن زهادة بل عن تفطن لحقيقة الاوضاع في الكون . وفي هذا يقول :

كن اله النضار انك عندي ... لست شيئا ما لم تكن انسانا
اشبع العقل حكمة واختبارا ... واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الارض والسماء وهل يدعى ... فقيرا من يملك الاكوانا ؟ (٣٠)

ولكن انسانية الشاعر القروي تتبدى بأجلى صورها عندما يتغنى بأمه المنجاب ويتحدث عن امومتها البرة الحانية الرفيعة . فهنا نرى القروي كالطفل الساذج يذوب محبة وهياما ، لان امه أعز عليه من الدنيا جميعا ، ولا يفضلها في نظره الا وطنه :

نسيان امي يا لبنان أهون من ... نسيان حبك عندي او تناسيه (٣١)

وللقروي في امه انغام لعلها من احلى انغامه جميعا ، وقد اعترف هو بنفسه بأن قصيدته الموسومة « حضن الام » هي اعذب شعره بغير استثناء لانه نظمها في محضر امه الرؤوم واستلهم معانيها ورؤاها من حنان الام ورقتها وايثارها وسلامة فطرتها وصدق مشاعرها . وقد ذهب في حد تقديسه لامه الى ابعد ما يذهب اليه العقل البشري في تصويره ، فقال :

فؤاد الام يا لك من فؤاد ... يضم من العواطف ما يضم
غلطنا حين صلينا (أبانا) ... كما قالوا لنا ، فالله أم (٣٢)

أما قصيدته الباذخة في الام ، فهي درة لجبين الشاعر قل نظيرها في شعر المعاصرين ، وربما في شعر السالفين . فقد ملأت الام حياة الشاعر ، وأسرته بعاطفتها الفياضة الرائعة ، وامتلكت قلبه ووجدانه ، وأرضعته لبان الحب قال :

ولو عصفت رياح الهم عصفا ... ولو قصفت رعود الموت قصفا
ففي اذني عند النزع صوت ... يحول لي عزيف الجن عزفا
فيطربني ، وذلك صوت امي

* * *

ولو يا رب في اليوم العظيم ... تلوت علي حكمك بالجحيم
فلي امل بان ستعود يوما ... فتصفح في جهنم عن اثيم
وقلبك يستحي من قلب امي (٣٣)

بل ان الشاعر القروي ليبيع الدنيا جميعا في سبيل امه ، ولا يخشى غدرات الايام ما دامت له ام تبارك شعره وتبث فيه حب الخير والبر :

واصبحت مهما سامني الدهر ذاكرا ... بأني لي أم فلا أتذمر (٣٤)

وفي موضع آخر قال :

ولو كان يغني الحب او يدفع الردى ... لما نام تحت الترب حي له ام (٣٥)

(٣٠) الديوان ـ ص ٨١٥
(٣١) الديوان ـ ص ٦٠٦
(٣٢) الديوان ـ ص ٧٦
(٣٣) القصيدة مدرجة بكاملها في مقالنا المعنون « صورة الام في الشعر » ـ الاداب ـ مايو ١٩٥٨ ـ ص٣١ ـ والديوان ص١٧٧ـ١٧٨
(٣٤) الديوان ـ ص ٨٢٦
(٣٥) الديوان ـ ص ٦٦٨

وفي غير هذا الموضع قال :

علقت فوق سريري رسم والدتي ... تعويذة لي من اشباح اتراحي
ورحت أغمض اجفاني وافتحها ... على رضى الام امسائي واصباحي (٣٦)

وديوان القروي بنواكيره وأعاصيره وزمازمه ومحافله ومجالسه وزوايا شبابه وموجاته القصيرة وازاهيره انما يجلو لنا صورة عملاق في الشعر العربي الحديث ، نشأ على شاطىء البحر المتوسط وترعرع على ساحل الاطلنطي ولكنه عاش بوجدانه ومشاعره وجنانه وخياله ورؤاه في خضم الاحداث الوطنية ، فكان صوته ينطلق من وراء البحار مرشدا وناصحا وموجها ومحمسا ومقرعا ومداويا . ففي ذكرى المتنبي ، وقف الشاعر القروي ينشد :

نبي ولو ضجت شيوخ ورهبان ... وهل بعد اعجاز ابن كندة برهان
وكل كلام يرفع النفس منزل ... وكل مقال يفسد العقل بهتان
ولا فرق في الايات الا بانها ... لذي العقل آداب وذي الجهل اديان

* * *

عيال على ذكراك ذكرى ملوكه ... واسماؤهم فيه على اسمك ضيفان
خلدت فخلدت الزمان وهكذا ... تموت وتحيا بالنوابغ أزمان

* * *

بشاعرها فلتفتخر كل امة ... يهددها بالموت والعار طغيان
اذا طويت اعلامها فهو بيرق ... وان أخمدت انفاسها فهو بركان
يهز رفات الغابرين صراخه ... فتنشق أرماس وتنحل أكفان
وتبعث ابطال وتنضى صوارم ... وتنشر اعلام وتنصف اوطان

* * *

خلا العرش بعد ابن الحسين على المدى ... وعطل من كسرى البلاغة ايوان
تمر البرايا موكبا اثر موكب ... يقل فحول الشعر والشعر سهران
يفتش فيها عن خليفة احمد ... فتمضي الليالي وهو حيران يأسان (٣٧)

وفي كل مناسبة قومية او ثقافية ، أسمعنا القروي صوته ، جهيرا فصيحا . وكان في كل شعره أبعد الناس عن الرياء ، يقول الحق ولو ثار عليه الثائرون والهجاءون ، ولم يسلم القروي منهم في مهجره ، فتحداهم ببيانه وصنائعه ، ولم يجارهم في القدح والهجاء .

اما شعر القروي في باب الغزل فهو كثير ، أفرد له باب « زوايا الشباب » . فقد ربط الحب قلبه بقلب «لمية» فنظم فيها أرق الشعر مما يندرج وحده في ديوان كامل فريد . واذا كان القروي قد عرف بالصدق في جميع شعره ، فهو بهذه الصفة أظهر في غزلياته البارعة ووجدانياته الفارعة ولا سيما في قصيدته العاطفية الانسانية العصماء التي أسماها « وكم تهمة » ، وفيها يقول :

لمية بثت من ذوبك عيون ... وجارت علينا السن وظنون
اذا التقت العينان قيل تتيم ... وان ضحك السنان قيل جنون
قد اتهمونا بالهوى حين لا هوى ... وكل قضاء لم يحن سيحين
وكم تهمة بالحب للحب نطفة ... اذا علقت بالقلب فهي جنين
وكنت اظن الحب فيك مجانة ... واحسب ان البعد عنك يهون
فلما سعوا بيني وبينك بالنوى ... وهاج بقلبي للقاء حنين
بكيت فما جفت دموعي من البكا ... كان عيوني خلفهن عيون
أطوف بأكناف الحمى علني أرى ... خيالك من بعض الدروب يبين
اذا كذبتني العين حرمتها الكرى ... وغرقتها بالدمع وهو سخين (٣٨)

واذا استثنينا قصيدة او اثنتين ، فان القروي في حبه عفيف يؤمن ، كما كان مطران يؤمن من قبل ، بالتوحيد

(٣٦) الديوان ـ ص ٨٤٦
(٣٧) الديوان ـ ص ٣٨٢ ٣٩
(٣٨) الديوان ـ ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠

في الحب . اما الحب الانساني الشامل ، فان صدر القروي ليتسع فيه للدنيا بأسرها لانه هو القائل :

غرست الحب في قلبي صغيرا ... واطلقت السلام به غديرا
أارجع اذ غدا روضا نضيرا ... فاجعله ببغضكم سعيرا
واقطف منه جمر الحزن قطفا ؟ (٣٩)

وهو القائل ايضا :

ألا كل دين ما خلا الحب بدعة ... ألا كل علم ما عداه توهم
هو الحب حتى ليس في الارض مجرم ... ولا مدفع يجري عليها ولا دم (٤٠)

والفكاهة في شعر القروي قليلة ، ولكنها تدل على لمعة من الذكاء وومضة من مرح الروح . وديوان القروي ديوان جاد الا في بضعة مواضع موزعة في انحاء معرضه الشعري . ولعل اجمل قصيدة فكاهية ساخرة في ديوانه هي التي نظمها عن شاربيه غب حلقهما ، قال :

قالوا حلقت الشاربين ... ويا ضياع الشاربين
فاجبتهم بل بئس ذان ... ولا رات عيناي ذين
الشاغلين المزعجين ... الطالعين النازلين
ويلي اذا ما ارهفا ... ذنبيهما كالعقربين
ان ينزلا لجما فمي ... او يصعدا التطما بعيني
واذا هما بسط الخوان ... تراهما بسطا اليدين
فاذا اردت الاكل ... يقتسمان بينهما وبيني
واذا اردت الشرب ... يمتصان كالاسفنجتين
فكانني بهما وقد ... وقفا بباب المنخرين
عبدان من اشقى العبيد ... تقاضيا ملكا بدين (٤١)

ومن شعره الفكه قوله :

جراة الحلمتين خلف الصدار ... علمتنا في الحب خلع العذار
خبئي هذه المفاتن عنا ... انما الصدر مخبأ الاسرار
كيف لا تطمع الاكف بكنز ... دافع نفسه الى النظار (٤٢)

وكذلك قوله :

لم أنس حين غشوت خدر لمية ... والليل يغمرنا بجلبابين
عالجت زر الكهرباء بصدرها ... فانارت في العينين مصباحين (٤٣)

ان ما قدمناه من نماذج مقتبسة من شعر الشاعر القروي رشيد سليم الخوري انما يطوع لنا ان نقول ان هذا الشاعر الاصيل المكين الرصين قد حافظ على عمود الشعر وصانه من كل عبث ، وذاد عن الضاد وزادها بشعره غنى فوق غنى ، وكان في المهجر لسانا لقومه وصدى لاحداث وطنه . وقد كان القروي في صخبه وهدوئه وثورته وهدأته ، شاعرا مجيدا صريحا منطلقا ، وكان شجاعا حتى حين يتكلم عن وطنه الثاني وعن خلانه ورفاقه . وكان الى ذلك ماحنا يلعب بالعود فينسج الانغام ويطرب الاسماع . وكان في كل ذلك رشيدا كاسمه ، سليما كلقبه . وحق له ان يقول : « ان شعري واحده بيت القصيد » . وحق له ايضا ان يقول : « انني شاعرهم رغم الجحود » .

القاهرة — وديع فلسطين

(٣٩) الديوان ـ ص ٨٠٨
(٤٠) الديوان ـ ص ٨٢٩ ـ ٨٣٠
(٤١) الديوان ـ ص ٦٠
(٤٢) الديوان ـ ص ٧١٨
(٤٣) الديوان ـ ص ٧١٨

دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر
في بيروت
تقدّم

المجموعة القصصية

المصباح الازرق	تأليف :	نبيل خوري
ليلنا خمر	«	«
قبلة التراب	«	«
ثقب في الباب	«	غسان خليل صباغ
لولا القدر	«	حسين السيد
دعني اعترف	«	«
عين لا تنام	«	«
بنت الجيران	«	صباح محيي الدين
فتاة الرمال	«	عوني مصطفى

ثريا الامبراطورة الحزينة

المجموعة الجنسية

الحب والشهوة
آدم وحواء

المجموعة السياسية

العرب والاستعمار ـ تأليف الجنرال كيللر
أنا عائد من اسرائيل

المجموعة التاريخية

تاريخ المملكة العربية السعودية ـ تأليف صلاح الدين المختار (الجزء لاول) ـ (الجزء الثاني)

المطولات

شرح نهج البلاغة للإمام علي ـ لابن ابي حديد
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ـ مجموعة كاملة بتجليد انيق
مجمع البيان في تفسير القرآن
معجم متن اللغة ـ الموسوعة اللغوية الحديثة للعلامة الشيخ احمد رضا . تصدر تباعا موفية بشروط السرعة والاتقان .

المجموعة الشعرية

ديوان شعر اليها ـ تأليف انور سلمان
محمد ـ ملحمة شعرية تأليف الدكتور علي شلق .

مكتبة دار الحياة ـ بيروت . شارع سوريا ص.ب ١٣٩٠